# المقاهى والمدارس الأدبية

لقد عُرفت المقاهي في مصر أثناء الحكم التركي العثماني، وانتشرت في القاهرة، وكانت في العشرينيات تمثل مركزًا يستريح فيه من أجهدَهم عناء السفر أو التنزه، فكانت تقوم مقام "الترانسفير"، الذي يجلس فيه المتعبون لشرب فنجان من القهوة!!

**مدارس أدبية :**

قامت على المقاهي في العصور الماضية مدارس أدبية عدة، وخرَّجت عددًا كبيرًا من الأدباء والساسة، يقول المؤرخ الفرنسي جول ميشليه إن التفجر الهائل الباهر للإبداع الفكري يعود الفضل فيه جزئيًا إلى ذلك الحدث الكبير الذي خلق عادات جديدة وغيَّر من المزاج الإنساني، كان هذا الحدث مجيء القهوة.. وما زال الأدباء ورجال الصحافة والفكر يستخدمون المقاهي الآن في لقاء بعضهم البعض.

وعلى الرغم من أنه لم تكن الطبقة العليا في المجتمع ترتاد المقاهي؛ لأن ذلك يعني الانتقاص من هيبتها ووقارها، كما أنه لم يكن مباحًا للنساء ارتيادها؛ وذلك لأن بعض المقاهي في البداية كانت تتمتع بسوء السمعة، وخاصةً في بغداد وإستانبول.. حتى إنه عندما انتشرت العوالم والغوازي كانت هناك حركات رافضة لرقصهن الفاحش لدرجة أن محمد علي أمر بمنع إحدى الراقصات الفاحشة النِّحلة في مقاهي القاهرة، وكان هذا أول قرار يصدر في موضوع الرقابة على الفنون في العصر الحديث..

كما أن الشيخ جمال الدين الأفغاني كان يهدي الراقصات العاصيات ويردهن إلى الصراط المستقيم في المقاهي التي كان يجلس فيها.

لكن على الرغم من ذلك وعلى الرغم من ظهور فئة من الغوازي والعوالم المبتذلات.. إلا أن المقاهي في هذا الوقت لم تكن تخلو من الفنون الشعبية التي يرويها شعراء الربابة والأدباتية والحكواتية؛ حيث كانت ملتقى للأدباء والفنانين يرتادها (روادها) كبار الأدباء والشعراء، والموسيقيون، وغيرهم.

## البداية من الشُمعة :

كانت مقاهي القاهرة تشهد العديد من الفنون الجماعية كمباريات القافية بين المرتادين، وهي مباراة كلامية تدور بين شخصين، يطلب أحدهما من صاحبه أن يدخل معه في قافية؛ حيث يبدأ الشخص بكلمات لاذعة فيرد عليه الآخر بكلمة (اشمعنى) والتي تعني (إيش يعني)، فيرد عليه ردًا لاذعًا وسط ضحك الآخرين.

كما كانت المقاهي مركزًا أيضًا للإنشاد الشعري لرواة الملاحم الشعرية، والإنشاد الديني والمدائح النبوية في المولد النبوي الشريف، والعديد من المناسبات الدينية، أي إن المقاهي كان لها أثر كبير في حياة الأدب والفن وكانت تمثل مراكز إشعاع مضيئة في أنحاء القاهرة.

ومن المقاهي ما كان يرتاده علماء الأزهر والمشايخ، ومنها ما كان يرتاده الأفندية، ومنها ما يرتاده عمال المعمار والحرفيين وغيرهم، والآلاتية.. حيث كانت المكان الذي يجمع فيه عباقرة الأدب والفن لوضع ملامح عصورهم، وخطوط حضارتهم.

وكانت المقاهي أيضًا أثناء الثورة العرابية- وخاصةً مقاهي حي الأزهر- تجمعُ الأدباء والمفكرين وأهل الفن إلى جانب العلماء والمشايخ، فكما كان الأفندية (مرتدو الطرابيش) يجلسون على المقاهي لأغراض أدبية.. كان أيضًا علماء الأزهر والمشايخ يجلسون عليها؛ لذلك كانت مقاهي حي الأزهر تشتهر بالعلم والأدب، وكانت تعد أسواقًا لبيع الكتب.

أما في شهر رمضان فكان رواد مقاهي حي الأزهر والحسين يزدادون في هذا الشهر الكريم، وهي ظاهرة نراها حتى الآن؛ حيث تزيد مظاهرة البهجة والسرور، وقد اشتهر حي الأزهر والحسين بالكتب والمكتبات، وكان الخطاطون والنساخون يتخذون من المقاهي مكانًا مفضلاً لهم قبل اختراع الطباعة يحترفون فيه حرفة نسخ الكتب الدينية والأدبية، ويكتبون المصاحف، وخاصةً في شهر رمضان، فكان جوًا ملائمًا يتردد فيه المناقشات الأدبية.

ولذلك كانت مقاهي الحسين والأزهر مخصصةً لأهل العلم والأدب، وكانت فرق

المدَّاحين تظهر في شهر رمضان، وكانت عندما ينشد بعد صلاة العشاء يسود الصمت أرجاء الحسين الجامع والميدان وما حولهما حتى ينتهي الشيخ علي محمود- أعظم المنشدين وأشهرهم- في ذلك الوقت.

وكانت قيمة المقاهي في روادها، وكان مقهى الفيشاوي يشبه سوق عكاظ، وكانت الكتب تتناثر على مناضدها مع أكواب الشاي أو فناجين القهوة، وقد كان من رواد المقاهي قديمًا الحكواتية الذين كانوا يحكون الحكايات التي تتناسب مع زمانهم وبلدانهم وظروف مواطنيهم، وكذلك انتشرت السير الشعبية على المقاهي.

وكان جمال الدين الأفغاني يلتقي مع تلاميذه ومريديه على مقهى البوستة بميدان العتبة الخضراء بالقاهرة، التي تغيَّر اسمها بعد ذلك إلى مقهى متاتيا، وكان لا ينقطع عن التنوير داخل المقهى، وقد خلف الشيخ جمال الدين الأفغاني عددٌ من أعلام النهضة الحديثة منهم محمد عبده، ومحمود سامي البارودي، وعبد الله النديم.

## أماكن تجمع بين المثقفين :

يشير البعض إلى أن الصحافة الحديثة وُلدت في المقاهي البريطانية، كما يشير البعض الآخر إلى أن الديمقراطية الحديثة التي ظهر فيها لأول مرة صندوق الاقتراع كانت في إحدى المقاهي اللندنية الشهيرة، وكان من ضمن روادها مقهى "بار اللواء" شاعر النيل حافظ إبراهيم وجاحظ هذا العصر الشيخ عبد العزيز العشري، وكان زكي مبارك وهو فارس الكلمة في هذا العصر يجلس أيضًا على مقهاه ويقضي لياليه وسهراته.. أما مقهى الفن في شارع عماد الدين بالقاهرة فقد كان يجمع بين الأديب الشاعر محمود تيمور وسيد درويش ونجيب الريحاني وزكي طليمات والسيدة روز اليوسف.

هذا ما كانت عليه المقاهي قديمًا كأماكن تجمع بين المثقفين والأدباء والموسيقاتية والعلماء، أما الآن فلم يعد للمقهى دور ثقافي كما كانت عليه من قبل، بل تحولت المقاهي الآن إلى نوع من العشوائية، وقد فشلت بعض محاولات إعادة الثقافة لمقهى ريش على سبيل المثال، كما شاعت ثقافة الاستهلاك العالية، وأصبح الناس ينصرفون من المقاهي إلى الأندية.